

## الملتقى الدولي حول علم الموسيقى

من تنظيم المركز الوطني للبحوث في علوم ما قبل التاريخ

و الأنتروبولوجيا و التاريخ

22, 23, 24 نوفمبر 2009

الموضوع : ثقافة و موسيقى

دور الشعر في الحفاظ على التراث الموسيقي

يوجد في الثقافات الشفوية المغربية و العربية أ و الثقافات الأخرى سواء كانت راقية أو شعبية، علاقة وطيدة بين النص الشعري و بنيته اللحنية التي هي عبارة عن امتداد طبيعي للنص .

تعتمد هذه النصوص المرردة عبر الأغاني ذات البنيات المختلفة التي تميز كل منطقة، على لغات و لهجات متنوعة ، وعندما تكون الثقافة غير محلية ، نقلتها موجات المهاجرين، فإن هذه الأخيرة عندما تلتقي بالأغاني المحلية ينتج عنها مجموعة نصوص تمتزج فيها التأثيرات المتبادلة لتعطي طوعا موسيقية ذات ألوان محلية بارزة .

يمنحنا هذا الإنتاج الأدبي الكثيف و المتنوع الذي يميز كل ثقافة، إمكانية تحقيق أعمال موسيقية لا يستهان بها، ففي الكثير من الحالات يطغي النص على اللحن فيتحول هذا الأخير إلى مجرد ركيزة لأبسط البنيات .

يزكي النص من خلال نوعيته هذه العلاقة الوطيدة بين النص الشعري و بنيته اللحنية، و الطبع الموسيقية المغناة الناتجة عن هذه العلاقة المتعددة، سواء كانت شفوية ، مصحوبة بألات موسيقية أم لا . إن العلاقة (لغة / موسيقى) التي نظرها نيكولاس روي ( 1972 : 38 – 41 ) تطرح إشكاليين هامين :

1- كيف تعالج اللغة بالموسيقى ؟ هل هناك نظام تصنيف ؟

## 2- بأي طريقة تساهم الأشكال اللغوية في البنية الموسيقية ؟

تتنوع العلاقات بين اللغة و الموسيقى من عمل لآخر، فهي تنتقل من التقارب إلى التناقض مروراً بكل أشكال التفاوتات ، إلى التلاؤم و التكامل .  
وعليه فإن الأبحاث المرتبطة بالإنتاج الأدبي تحتل مكانة أساسية في أبحاث علوم الموسيقى المتعلقة بالمجتمع.

و إذا كانت النصوص في غالب الأحيان مكتوبة و مدونة فإن الموسيقى غالباً ما تبقى شفوية .  
أظهرت نتائج الأبحاث في علوم الموسيقى أنه فيما يتعلق بالموسيقى غير المكتوبة يوجد لغة موسيقية مرنة بما فيه الكفاية لتمتزج بالأنماط الشعرية المختلفة و عليه يمكن للنصوص أن تخضع لاقتباسات وتنسيقات متنوعة.

دونت هذه الأشعار القيمة و الرقيقة ، في كراريس تدعى حسب المناطق : " ديوان " ، " كناش " ، " سفينة " ، و أسمى درجة بإمكان الفنان المغربي أن يرتقي إليها قديماً هي عندما كان يحفظ هذه النصوص عن ظهر قلب دون اللجوء إلى الكناش أو الكراس . أما اليوم فإننا نجد الموسيقيين يقفون أمام جمهورهم مصحوبين بكراسهم دون خجل، وهذا الأمر راجع إلى التغيير الذي طرأ على الذهنيات خاصة فيما يتعلق بذوق المستمعين الذي كان صارماً جداً في السابق.

كما أنه يمكن النظر إلى النص من زاوية أخرى غير الزاوية التقنية باعتبار أن هذا الأخير لعب و مازال يلعب دور شك من خلال بعض دواوين " الشعبي " في الجزائر دوراً هاماً في نقل الانشغالات الاجتماعية الثقافية و الدينية التي ترتبط بالجانب التربوي و التعلم الديني و السياسي ...و الذي يتطرق عبر المواضيع التي يتناولها إلى جوانب مختلفة.

تجتمع الموسيقى بالنص لتمنحه تأثيراً أكثر وقد لعبت هذه المدائح التي كانت تغنى في ساحات الأسواق ، في الأرياف و الزوايا قديماً دوراً إعلامياً في أوساط الأهالي، كانت تلك النصوص بمثابة رسائل أو أعمال نضالية هادئة و سلمية لكنها مستدامة و عميقة الأثر :

\* مقاومة ضد الاغتراب الثقافي عن طريق الحفاظ على التراث الموسيقي  
\* مقاومة ضد ضياع القيم الأساسية (الدينية ، التاريخية ، الثقافية ) عن طريق نشر النصوص المرتبطة بهذه المواضيع عبر موسيقى هي في متناول مختلف الطبقات الاجتماعية .

- \* مقاومة ضد أخطار الجنوح عن طريق لم شمل صفوف شباب ضاعت مقوماته و ذلك عبر ممارسات فنية و أخلاقية (مثال مدائح الزوايا )
- \* مقاومة ضد ضياع الهوية عن طريق ترديد مدائح لها علاقة بالمواقف الدينية و التاريخية.
- \* مقاومة ضد التشتيت و العزلة عن طريق التفاف الأفراد من مختلف النواحي و الأعراق و التيارات في حلقات تبادل عبر الممارسات الدينية
- \* مقاومة ضد المضايقات و الحرمان من التعبير عن طريق تشكيل فن يكون وسيلة تعبيرية بعيدة المدى يحافظ على التقاليد، يتغنى بالأبطال ، يعلم و يهذب السلوك.

أنتجت هذه المواقف تراثا رصينا و منظما للموسيقى بشكل عام. ففي بداية القرن الـ20 في الجزائر أدمجت ألحان دنيوية بنصوص صوفية كان الهدف منها الحفاظ على التراث ، انتشرت هذه الطريقة عبر الوطن في ملحقات المساجد و بعض الزوايا.

فمن بين الوسائل المختلفة للحفاظ على الموسيقى نجد مرة أخرى النص الذي لعب دورا لا يستهان به باعتبار أنه يقترح :

- \* تمارين معقدة حول الطبوع لإبراز إمكانيات العازف ، تلك الأشعار التي تدعى الأرجوزة تشكل منهجا موثوقا لتعلم جاد للنصوص يساهم في نقل التراث الموسيقي عبر الأجيال.
- \* نظرة تقنية تمنح من بين مختلف الوسائل تسلسلا تؤدي من خلاله النوبات: حالة النوبة التونسية
- \* تروي مواقف تاريخية ، ثقافية و اجتماعية
- \* تتناول مواضيع ملحمية أو غنائية

- هل يمكننا أن نجزم أن النص في القرن الـ21 قد بلغ حده كعامل للمحافظة على التراث ؟
- هل له نفس التأثير اليوم ؟ -
- هل تلجأ المجتمعات العصرية اليوم إلى النص كوسيلة للاتصال ؟ هل يترك هذا الأخير المجال واسعا أمام اللحن بنغماته الجذابة و حركاته الخفيفة و الجنونية ، مغفلا قوة الكلمات ؟
- هل يستعمل العازفون اليوم النص كما كان يستعمل في السابق أم أنهم ألقوا بمهمة المحافظة على التراث على عاتق التسجيل و النقل الموسيقي ؟
- سيتطرق هذا الملتقى إلى البعض من هذه العلاقات بين الشعر و الموسيقى ليعطي نظرة مستقبلية عن كيفية نقل الموسيقى و المحافظة عليها و تكييفها مع متطلبات القرن الـ21 و عليه ترمي أهداف هذا الملتقى إلى :

1- العمل على إبراز العلاقة بين النص الشعري و البنية اللحنية في المغرب العربي .

- 2- تحديد العلاقة القائمة بين النص الشعري و السياق الاجتماعي و الثقافي .
- 3- تحديد التقنيات التي كانت تستعمل في الحفاظ على الموسيقى عبر النص .
- 4- اقتراح إمكانيات عصرية للحفاظ على الموسيقى و نقلها بالجزائر، بالاستناد إلى تقنيات ثبت وجودها في المغرب العربي.
- 5- تحديد دور المنظومة التربوية في الحفاظ على التراث الموسيقي و نقله

## محاوور و مواضيع أخرى :

- 1 - العلاقة بين النص و التراث الموسيقي في الجزائر و المغرب العربي .
- 2 - السياق/ المواضيع التي تتطرق إليها النصوص من منظور سوسيو ثقافي.
- 3 - دور الهياكل الاجتماعية التقليدية ( زوايا ملحقات المساجد ) في الحفاظ على التراث الموسيقي عبر النصوص.
- 4 - مساهمة التقنيات الحديثة في الحفاظ على التراث الموسيقي .
- 5 - دور و مساهمة المنظومة التربوية في الحفاظ على التراث الموسيقي و نقله.

ماية سعيداني

✉ : CNRPAH : 3, rue Franklin Roosevelt, 16000 – Alger - ALGERIA  
☎: 00.213.21.74.75.84 📠: 00.213.21.74.79.29 @: [textecontexte@cnrpah.org](mailto:textecontexte@cnrpah.org)